

مفهوم اللغة: تعريفها خصائصها ووظائفها

تعريف اللغة:

لما للغة من أهمية عند الإنسان فقد أهتم الباحثون منذ القدم على دراستها وتحليلها و إيجاد تعريف واضح لها. ولقد تعددت الآراء في تعريف اللغة ففي التراث اللغوي العربي يأتي تعريف ابن جني للغة بصفة عامة مؤكداً على أهمية اللغة للإنسان فندا وظائفها وماهيتها ودورها في النهضة بالامة. ويأتي تعريفه للغة بأنها "أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم...".

و يأتي سابير (Sapir:1921) ليعرف اللغة بأنها " طريقة بشرية و غير غريزية لنقل الأفكار و الأحاسيس و الرغبات بواسطة رموز تنتج طوعاً" ويلاحظ على هذا التعريف أنه يركز على الناحية الرمزية، و استعمال مصطلح الرمز بدلاً من الصوت. ولكن يعيب على هذا التعريف اهماله لأهمية الوظيفة الاجتماعية للغة التي تشمل على التخطيط والارشاد و المديح والذم كما أكد ذلك اللغوي البريطاني فيرث (Firth:1964).

وفي كتابه "مقالة عن اللغة" يعرف هول (Hall:1968) -المنتسب الى المدرسة السلوكية- اللغة على انها نمط سلوك جماعي يقوم البشر بواسطته بالاتصال و التفاعل بعضهم مع بعض برموز شفوية وسمعية وتوفيقية يستخدمونها.

أما التعريف الرابع فيعزف على وتر مختلف تماماً، ونقتبسه من تعريف ناعوم تشومسكي في كتابه "التركيب النحوية" (Chomsky:1957) "من الان فصاعداً، سوف أعتبر أن أية لغة هي عجلة عن مجموعة محدودة او غير محدودة من الجمل، كل منها محدودة في الطول ومركبة من مجموعة محدودة من العناصر".

ويعرف بنكر (Pinker:1997) اللغة في كتابه "غريزة اللغة" فيقول بأن اللغة ليس من صنع الانسان وأنها شيء يتعلمه كما نتعلم كيف نخبز عن الزمن بل ان اللغة قطعة من التكوين البيولوجي لأدمغتنا تنمو عند الطفل بشكل عفوي دون جهد مبذول، وهي تنقل دون احساس بقواعدها. و يحذ بنكر أن يصف اللغة بأنها غريزة وشيء فطري لدى الانسان ومن هنا فهي ليست الشيء الذي ينفرد به بنو البشر على انها تكيف بيولوجي لا يصلح للمعلومات.

ومن أكثر تعريفات اللغة شمولاً ذلك الذي قدمته الجمعية الأمريكية للنطق و السمع . تعرف الجمعية اللغة على أنها نظام معقد وديناميكي من الرموز المتفق عليها يستخدم في شتى أنواع التفكير والتواصل. ويؤكد هذا التعريف على الجوانب التالية:

- تتطور اللغة في إطار تاريخي اجتماعي ثقافي معين.
- اللغة سلوك تحكمه قواعد محددة، ويتكون هذا السلوك من مستويات مختلفة هي: الأصوات والصرف والنحو و الدلالة والسياق.
- اكتساب اللغة يرتبط ارتباطاً وثيقاً بمجموعة من العوامل الإدراكية و البيولوجية والنفسية.

- ينبغي الفهم العميق للسلوك الانساني مثل فهم عملية التواصل الغير لفظي و العوامل الثقافية والاجتماعية حتى تتم الغاية الحقيقة للغة وهي عملية التواصل.

عناصر اللغة:

يدخل في تكوين اللغة وحدات أو أنساق متفرعة و ترتبط مع بعضها البعض ارتباطا وثيقا، ويمكن أن نسمي هذه الوحدة بعناصر اللغة وهي:

(١) *العنصر الصوتي:*

وهو الذي يحدد نطق الكلمات أو أجزاء الكلمات وفق الأنماط المقبولة أو المتعارف عليها لدى الجماعات اللغوية.

(٢) *العنصر الدلالي:*

ويعني ترتيب الوحدات المعنوية وفق سماتها الدلالية المعروفة أو المقبولة في اللغة.

(٣) *العنصر النحوي:*

ويعني ترتيب كلمات الجملة أو الجمل في أشكالها المقررة في اللغة.

(٤) *العنصر الصرفي:*

وهو النسق الذي تعالج فيه أو من خلاله بنيات الكلمات و تصرفاتها واشتقاقاتها.

(٥) *العنصر المعجمي:*

ويقصد به مجموع المفردات اللغوية المتاحة للتعبير عن المعاني و المواقف المختلفة في إطار اللغة.

وبعد ان سردنا بعض تعريفات اللغة وعناصرها يأتي دور معرفة الخصائص التي تميز لغة الانسان عن سائر طرق الاتصال الاخرى لدى باقي الكائنات.

خصائص اللغة:

إن اللغة التي يستخدمها الانسان للتواصل مع أبناء جنسه تشمل على خصائص فريدة تميزها عن تلك التي تستخدمها الحيوانات للتواصل فيما بينها. وفيما يلي استعراض لبعض هذه الخصائص:

- *القدرة على التعبير عن العلاقات الزمانية والمكانية:*

اننا نستخدم اللغة للحديث عن كل شيء، سواء أكان ذلك واقعا ام خيالا خطا ام أحلاما نتحدث عن الامس القريب وعن الماضي البعيد و نتحدث عن الغد وعن المستقبل البعيد بخلاف الحيوانات والحشرات. فمثلا تستطيع القردة أن تنذر القردة الأخرى عن وجود أفعى بين الأعشاب أو نسر يحوم في السماء ولكنها لا تستطيع أن تتحدث عما حدث بالأمس. ولن يستطيع النحلة أن تقترح -عن طريق الرقص- على زميلاتها الذهاب الى نفس البستان الاسبوع القادم.

- الإعتباطية:

بالنسبة للغالبية العظمى للكلمات فالعلاقة بين اللفظ والمعنى اعتباطيا وجاء بمحض الصدفة وهذا يعني أنه لا توجد علاقة مباشرة بين الكلمة ومدلولها. فمثلا اذا فحصنا كلمة "تفاحة" لا نجد فيها من حيث الشكل الكتابي أو البنية الصوتية مايدل على ما ترمز اليه، أي فاكهة حمراء مستديرة، ونفس الشيء ينطبق على كلمة Apple بالإنجليزية. وهذا هو الحال مع جميع الكلمات تقريبا، فإذا كنت لا تعرف لغة ما فإن الأصوات التي تتضمنها احدى كلماتها لا تعني لك شيئا.

- الإنتاجية أو الابداعية:

تتجلى هذه الخاصية بوضوح في الكلمات الجديدة التي يطلقها الانسان على المبتكرات والإختراعات، وفي الكلمات و العبارات و الجمل التي تتصف بها المواقف الجديدة و بفعل هذه الخاصية يمكن مثلا استخدام عدد محدود من الأصوات و القواعد للإنتاج عدد غير محدود من الكلمات و بالتالي العبارات و الجمل.

- التنوعية:

تتنوع طرق استخدام اللغة. فاللغة اما أن تكون منطوقة او مكتوبة او مكتوبة ومنطوقة او عن طريق الاشارات. اللغة المنطوقة هي الاساس فتاريخ الانسان يشهد انه تكلم قبل ان يكتب وعلى مدى قرون عديدة كان هناك كلام ولم يكن هناك كتابة حتى ظهرت الانظمة الكتابية واصبح يمكن للانسان ان يعبر عما يريد بنوع اخر وهي اللغة المكتوبة. ولغة الاشارة نوع اخر من أنواع اللغة، وهي حركات بعض أعضاء الجسم التي يمكن ان تحل محل اللغة المنطوقة مثل حركات اليدين والأصابع والعينين والرأس.

- التوارث الاجتماعي و الثقافي:

قد يرث الطفل من والديه لون البشرة أو الشعراو طول القامة ولكنهما يرث لغتهما بالضرورة، فإذا ولد طفل لوالدين عربيين ويتحدثان العربية في المنزل ولكن يعيشان في روسيا وذهب الطفل الى المدرسة حيث تتحدث معلماته الروسية. فإنه بالتأكيد سيتعلم الروسية بجانب اللغة العربية. وهذا لا ينطبق، على سبيل المثال، على اباء القط والقطعة الذين أحضروهما معهم. فالقط الصغيرة التي ولدت في روسيا لن تتعلم عبر الاختلاط بالقطط الروس لغة جديدة، كما ان والديها لن يعجزوا عن التفاهم مع مثيلاتهم الروس في اليوم الاول لوصولهم روسيا.

هناك اتفاق واسع بين علماء اللغة على أن الطفل يولد ومعه قدرة موروثة لاكتساب اللغة، ولكن هذه اللغة لا تنحصر بلغة بعينها بل قدرة عامة على تعلم إحدى لغات البشر. وبالذات اللغة التي يتعرض الطفل لها. وإذا تم عزل الطفل عن المحيط اللغوي الإنساني فلن ينتج لغة بشكل غريزي، ولكن هذا ممكن مع صغار الحيوانات التي تم فصلها منذ ولادتها عن امهاتها. وهذا يؤكد على الهوية الإجتماعية و الثقافية للغة البشر.

وبعد أن عرفنا بعض خصائص اللغة نأتي الان الى معرفة أهم وظائفها.

وظائف اللغة:

يتفق جمهور علماء اللغة المحدثين على أن وظيفة اللغة هي "التعبير أو التواصل أو التفاهم"، مع أن بعضهم يرفض تقييد وظيفة اللغة بالتعبير أو التواصل؛ فالتواصل إحدى وظائفها إلا أنه ليس الوظيفة الرئيسية. وقد حاول هاليداي (Micheal Halliday:1975) تقديم حصر بأهم وظائف اللغة، فتمخضت محاولاته عن الوظائف السبع الآتية:

(١) الوظيفة النفعية (الوسيلية):

وهذه الوظيفة هي التي يطلق عليها "أنا أريد"، فاللغة تسمح لمستخدميها منذ طفولتهم المبكرة أن يشبعوا حاجاتهم، وأن يعبروا عن رغباتهم.

(٢) الوظيفة التنظيمية:

وهي تعرف باسم وظيفة "افعل كذا، ولا تفعل كذا" من خلال اللغة يستطيع الفرد أن يتحكم في سلوك الآخرين لتنفيذ المطالب أو النهي، وكذا اللافتات التي نقرأها، وما تحمل من توجيهات وإرشادات.

(٣) الوظيفة التفاعلية:

وهي وظيفة "أنا وأنت" تستخدم اللغة للتفاعل مع الآخرين في العالم الاجتماعي باعتبار أن الإنسان كائن اجتماعي لا يستطيع الفكك من أسر جماعته، فنستخدم اللغة في المناسبات، والاحترام، والتأدب مع الآخرين.

(٤) الوظيفة الشخصية:

من خلال اللغة يستطيع الفرد أن يعبر عن رؤاه الفريدة، ومشاعره واتجاهاته نحو موضوعات كثيرة، وبالتالي يثبت هويته وكيانه الشخصي، ويقدم أفكاره للآخرين.

(٥) الوظيفة الاستكشافية:

وهي التي تسمى الوظيفة "الاستفهامية" بمعنى أنه يسأل عن الجوانب التي لا يعرفها في البيئة المحيطة به حتى يستكمل النقص عن هذه البيئة.

(٦) الوظيفة التخيلية:

تتمثل فيما ينسجه من أشعار في قوالب لغوية، كما يستخدمها الإنسان للترويح، أو لشحن الهمة والتغلب على صعوبة العمل، وإضفاء روح الجماعة، كما هو الحال في الأغاني والأهازيج الشعبية.

(٧) الوظيفة الإخبارية (الإعلامية):

باللغة يستطيع الفرد أن يتقل معلومات جديدة ومتنوعة إلى أقرانه، بل ينقل المعلومات والخبرات إلى الأجيال المتعاقبة، وإلى أجزاء متفرقة من الكرة الأرضية، خصوصاً بعد الثورة التكنولوجية الهائلة. ويمكن أن تمتد هذه الوظيفة لتصبح وظيفة تأثيرية إقناعية؛ لحث الجمهور على الإقبال على سلعة معينة، أو العدول عن نمط سلوكي غير محبب.

ووضح هاليداي (Micheal Halliday:1975) ان الاطفال يولدون ولديهم دوافع لاكتساب اللغة لانها تخدم وظائف و أغراض معينة لهم. وبين أن الوظائف الأربعة الأولى التي تساعد الطفل على تلبية احتياجاته البدنية والعاطفية والاجتماعية تظهر قبل الوظائف الثلاثة الأخيرة الإستكشافية و التخيلية والإخبارية التي تساعد الطفل على التأقلم مع البيئة.

اللغة كالكائن الحي، تنمو وتترعرع وتشب وتشيخ، وقد تموت إذا لم تتوفر لها عوامل الديمومة والاستمرار، مرهونة في ذلك بتنوع الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والعلمية، فعندما يتطور المجتمع حضارياً وإنتاجياً تتطور اللغة، والعكس.

د. أحمد محمد المعنوق (١٩٩٦). الحصيلة اللغوية، سلسلة عالم المعرفة، عدد (٢١٢).

د. جمعة سيد يوسف (١٩٩٠). سيكولوجية اللغة والمرض العقلي، سلسلة عالم المعرفة، عدد (١٤٥).

د. شحدة فارح وآخرون (٢٠٠٣). مقدمة في اللغويات المعاصرة. عمان: دار وائل.

أ.د. طلبة عبد الستار أبو هديمة (٢٠٠٦). علم اللغة العام. الرياض: دار المعرفة للتنمية البشرية.

أ.د. موفق الحمداني (٢٠٠٧). علم نفس اللغة من منظور معرفي. عمان: دار المسيرة للنشر.